صياغةُ المصطلح وتفكيكُه كاستراتيجية مقاوِمة للسَّرديات الكولونيالية عند "عبد الوهاب المسيري"

Drafting and dismantling the term as a strategy against colonial narratives at "Abdul WahabAl-Missiri"

أمينة بن خاوة*

تاريخ الإرسال: 2020/03/02	تاريخ القبول:2020/05/05	تاريخ النشر:2020/06/30

الملخّص

تبتغي هذه الورقة البحثية التعريف باستراتيجية جديدة لمقاوَمة السرديات الكولونيالية من شأنها أن تُؤسِّس لخطاب عربي مقاوِم ومستقِل، وهي الاستراتيجية التي طَبَّقها المُفكِّر **"عبد الوهاب المسيري"**(1938-2008)في نقده ما بعد الكولونيالي ليتجاوز تفكيكَ الخطاب إلى مساءلة"مصطلحات الآخر"وتوليد جهاز اصطلاحي مضاد؛ إذ فكَّك المصطلحات الغربية ولاسيما الصهيونية كاشفا عن آلياتها الأسلوبية وحيلها البلاغية وتحيُّزاتها، محدِّدا جملة من الإجراءات التي يمكن من خلالها تفكيك المصطلحات وإعادة تركيبها وتعريفها وصياغة الدّوال البديلة المضادّة التي تُسَكّ وِفق رؤية عربية مقاوِمة، كما يشتمل نقده ما بعد الكولونيالي على النَقد الذاتي الصريح والموضوعي تجاه الخطاب التحليلي العربي وتلقيه لمصطلحات الآخر دون الكشف عن تحيُّزاتها ونماذجها الكامنة.

الكلمات المفتاحية: تفكيك المصطلح، المقاومة، النّقد مابعد الكولونيالي، السرديات الصهيونية.

Abstract:

This article aims to introduce a new strategy that resists colonial narratives that would establish a resisting and independent Arab discourse, which was the strategy implemented by the thinker"Abd al-Wahab al Masiri"(1938–2008)in his postcolonial critique to transcend the disintegration of the discourse to account for"other terminology"and generate a device The terminology is opposite, as it dismantled Western terms, especially Zionism terms, revealing its stylistic mechanisms, rhetorical tricks and

المؤلف المرسل: أمينة بن خاوة *aminabenkhaoua@yahoo.fr*

* جامعة يحي فارس- المدية (aminabenkhaoua@ yahoo.fr)

biases, defining a set of procedures through which terminology can be dismantled, reconfigured and defined, the formulation of alternative countermeasures that are concealed according to a resistance Arab vision. His postcolonial critique also includes frank and objective self-criticism of Arab analytical discourse and his reception of the terminology of the other without revealing its biases and types.

Key words: *Dismantling the term, resistance, postcolonial criticism, Zionist narratives.*

*** *** ***

يُشكِّل تفكيك السرديات الغربية والصهيونية محورا أساسيا في مشروع المفكر المصري ***"عبد الوهاب المسيري"*(1938-2008)**، ويتميَّز النقد ما بعد الكولونيالي للمسيري بتجاوزِه التفكيك إلى إعادة التركيب وإنتاج خطاب مضاد يقاوِم الآخر ، ويؤسِّس لعقل عربي اجتهادي توليدي متحرِّر من تَحَيُّزات الآخر وقادر على إنتاج منظومته المعرفية والفكرية، وقد تفطن المسيري لاستعمال الغرب والصهاينة **"المصطلح"** سلاحا لتكريس سردياتهم فاهتم بدراسته؛ حيث كشف عما يختفي وراء الدوال من تحيُّزات ونماذج كامنة مرتبطة برؤية من سكَّها وبالسياق الثّقافي والحضاري والإيديولوجي الذي صيغت فيه؛ وعليه فكَّك المسيري الخطاب الصهيوني -وحتى الغربي- مركزا على مصطلحاته التي يستعملها ويُشِيعُها عند الآخرين ليقف عند حيلها البلاغية، وآلياتها الأسلوبية كاشفا عن أنساقها المخبوءة، ومن ثمة ينتج خطابا معرفيا وجهازا اصطلاحيا مضادا لها مستثمرا في ذلك ما تُتيحه اللّغة العربية من إمكانيات. فكيف سخَّر الغرب والصهاينة المصطلح لغاية كولونيالية؟ وما هي الحيل البلاغية التي يعتمد عليها الآخر في إنتاج مصطلحاته؟ وما هي الخطوات الإجرائية التي يتبعها المسيري لتفكيكها وإعادة تركيبها؟ وما مدى حاجتنا إلى هذه الاستراتيجية المقاوِمة في ظل الصراع العربي الإسرائيلي الراهن؟.

1- تفكيك المصطلح الصهيوني والكشف عن حيله البلاغية والأسلوبية

إن لم يُجهر المسيري بتوجّهه ما بعد الكولونيالي إلا أن طبيعة الدّراسات التي قام بها وغاياتها ومرجعياته المعرفية ومنهجه ومصطلحاته المستعملة -وإن اختلفت دوالها عن تلك التي يستعملها رواد ما بعد الكولونيالية والنقد الثقافي- تكشف توجهه ناحية تفكيك السرديات ومصادرتها حيث يقول «يجب أن نقرأ النصوص الصهيونية بحذر شديد، وأن نحاول الوصول إلى المفاهيم الكامنة وراء المصطلحات والنماذج الإدراكية، وأن ندرك الحيل

البلاغيـة التي يلجـأ إليهـا الصـهاينة لإخفـاء عنصـريتهم وتحيُّزهم ولتمريرهـا بحيـث تصـبح مقبولة لأكبر عدد ممكن من قطاعات الرأي العام التي تهمهم»[1]؛ وعليه اشتغل المسيري في مشـروعه المفكِّك للصهيونية والمتتالية التحديثية الغربية بتفكيك السـرديات بما تشـتمل عليه من خطابات زعماء وأدباء وفلاسفة واقتصاديين وسوسيولوجيين ومقالات صحفية وأساطير وبحوث تاريخية وإعلانات وحتى مصطلحات من شأنها أن تُرسِّخ مَرويات مُزيفة وتحقِّق تمركزها حول ذاتها -سواء المركزية الغربية أو الصهيونية- على حساب تهميش الآخر ؛ذلك من أجل الكشف عن دهائها الأسلوبي، واستخلاص نماذجها الإدراكية الكامنة التي توحد رؤيتها، ومن ثمة مقاومتها وإنتاج خطاب وجهاز اصطلاحي مضاد.

كـرَّس المسـيري جهـدا كبيرا لدراسـة خلفيـة الخطابـات والعلـوم والمعـارف بمفاتيحهـا الاصـطلاحية؛ فلفت الانتبـاه إلى "إشـكالية التحيُّز" التي ألـف فيهـا مجلـدات ونظم لأجلها مؤتمرات جمعت باحثين عرب من مختلف التخصصات والأسقاع*، والمقصود بالتحيز «وجود مجموعة من القيم الكامنة المستترة في النماذج المعرفية والوسائل والمناهج البحثية التي تُوجِّه الباحث دون أن يشعر بها، وإن شعر بها وجدها لصيقة بالمنهج لدرجة يصعب معه التخلص منها»[2]؛ مما يعني ارتباط المنتجات الثقافية بسياقها الحضاري، وبوجهة نظر أصحابها، فخطـورة المصـطلح تكمـن في مرجعيتـه والأوشـاج الإيديولوجيـة التي تربطـه بالسـياق الـذي أُنتِج فيـه فكيـف نتعامل معـه بموضـوعية ونتلقـاه بـدون تمحيص وتحليل وتفكيـك؟ ويضـرب المسـيري مـثلا عـن المصـطلحات الخاصـة بوصـف الظـواهر اليهوديـة والصـهيونية فكشـف عـن سـمات الجهـاز الاصـطلاحي الصـهيوني وحتى الغربي –وإن كنـا سـنركز في هـذه الورقـة البحثيـة على مقاومتـه للمصـطلح الصـهيوني- انطلاقـا مـن نماذجـه الكامنـة وتحيزاتـه، ومـن أجـل ذلـك صـاغ نماذجـا تحليليـة مركبـة وأكثر تفسـيرية* لتفكيـك المصطلحات الغربية والصهيونية، ونقد الخطاب التحليلي العربي في استعماله لمصطلحات متحيِّزة لسياقها تخالف سياقنا الحضاري والثقافي، ليُبِين هذا التلقي عن سطحية الرؤية العربية للمسألة الصهيونية وهي تبعية تتنافى مع مقتضيات المقاومة التي ينبغي تكريسها في خطاباتنا في ظل الصراع"العربي- الغربي" و"العربي-الإسرائيلي".

والمسيري مثال المفكر الواثق من قدراته ومن إمكانات ثقافته ولغته العربية فلم يتبجح ولم ينبهر بالمصطلحات الغربية – والإنتاج الغربي بشكل عام- وإنما سعى ودعا إلى الكشـف

عن أنساقها أو ما يسميه بالنماذج الكامنة خلفها، وتجاوزها إلى توليد المصطلح، منطلقا من تفكيك المصطلح الصهيوني للكشف عن ألاعيبه وسماته وأنساقه وتحيُّزاته، وعليه سنستخلص سمات المصطلح الصهيوني من سمات الخطاب الصهيوني والغربي التي حدّدها المسيري بشكل عام عبر مؤلفاته* التي تكشف إدراكه لأهمية المصطلح وخطورته[3]:

1- تنبع مصطلحات الآخر من المركزية الغربية: مثل مصطلح "عصر الاكتشافات"، "الحروب العالمية"،"النظام العالمي الجديد"،"القانون الدولي العام"،"معاداة السامية"، "القرون الوسطى"، فهي مصطلحات تُعَبِّر عن مركزية الأنا وهامشية الآخر والإعلاء من الذات وهيمنتها على العالم من حولها.

2- تعميق الصهاينة المركزية الغربية بإضافة المركزية الصهيونية من خلال تسمية أنفسهم مثلا بـ"الرواد"، وتسميتهم للتنظيم الصهيوني بـ"المنظمة الصهيونية العالمية"، وتَنطلِق هذه المركزية من أن اليهود كيان مستقل لا يمكن دراسته إلا من الداخل في إطار مرجعية يهودية خالصة وانجرَّ عن هذا ما اصطَلَح عليه المسيري بـ**"جِيتَوِيَّة المصطلح"**؛ إذ تستند الدراسات حول اليهودية والصهيونية إلى مصطلحات من التراث الديني اليهودي أو من الأدبيات الصهيونية، ومن هذه المصطلحات (التاريخ اليهودي، العبقرية اليهودية، الجوهر اليهودي)، كما تتضح هذه الجيتوية في رفض الصهاينة ترجمة الكلمات العبرية والإصرار على إبرازها بمنطوقها العبري من منطلق الإيمان بتفرُّد التراث اليهودي مثل"يوم كيبور= حرب أوكتوبر"، وتظهر أيضا في ترجمة أسماء الأعلام(يتسحاق، سعديا، موشيه)، كما تتجلى قمة الجِيتوية في رفض السرديات الغربية والصهيونية استعمال اسم "فلسطين" للدلالة على الأراضي المحتلة حتى قبل"1948" ويُعَمِّمون بدلها اسم"إسرائيل".

3- استعمال الصهيونية"المصطلح"وسيلة لتطبيع ذاتها، هذا ما اصطلح عليه المسيري بـ**"تطبيع المصطلح"**، ويعني إضفاء العمومية والطبيعية على الظواهر الصهيونية بوصف هذا الكيان كيانا سياسيا عاديا لا يختلف عن كيانات أخرى وهذا عكس"الجِيتَوِيَّة".

4- بنية المصطلحات ذات طابع إنجيلي رغم علمنة رؤية العالم الغربي لليهود، ومن هذه المصطلحات (الشعب المقدس، الشعب الشاهد، الشعب الملعون،الشعب المدنس...)، وهي مصطلحات تفترِض وحدة تاريخية وعضوية بين اليهود عبر تاريخهم بأكمله، كما تفترِض وجود انقطاع كامل وخصوصية مطلقة بين اليهود والأغيار.

5- إخفاء مرجعية المصطلحات والمفاهيم الكامنة وراءها«فحينما يتحدث الصهاينة عن "السلام" أو عن "الحكم الذاتي" فهم يخفون تماما مرجعية هذه المصطلحات، فهل مرجعية هذا السلام هو قرارات هيئة الأمم المتحدة، أم المفهوم الإسرائيلي للسلام؟ وهل الحكم الذاتي للفلسطينيين يعني حق تقرير المصير أيضا، أم أنه يعني قيام سلطة خاضعة لتوجهات النظام الصهيوني؟»[4].

6- فصل الخطاب والمصطلحات عن أصولها الإيديولوجية والثقافية والاجتماعية وإنكار الجذور التاريخية للظواهر.

7- استعمال مصطلحات تبدو محايدة ولكنها في الحقيقة تستبعد التاريخ والواقع العربي مثل: "أرض بلا شعب"،"الأرض"،"المنطقة".

8- استعمال مصطلحات يهودية دينية في سياقات تاريخية وزمنية مثل "أرض الميعاد".

9- إخفاء وتغييب مصطلحات مقابل التأكيد على مصطلحات تُغيِّب العرب فقد «تمت إعادة تسمية فلسطين فأصبحت إسرائيل، وأصبحت عملية الاستيلاء على فلسطين هي مجرد "إعلان استقلال إسرائيل". واستمرت هذه العملية بعد عام 1948، فأصبحت "أم الرشراش" "إيلات" و"الضفة الغربية""يهودا والسامرة"، وقد اتسع نطاق هذه العملية في الوقت الحاضر بحيث بدأ الاتجاه نحو تغييب العالم العربي بأسره وليس الفلسطينيين وحدهم، ومن هنا الحديث عن "السوق الشرق أوسطية" بدلا من الحديث عن "العالم العربي"»[5]، وهذا يُبرِز أهمية وخطورة المصطلح عندما يتجاوز بعده اللغوي إلى طمس هوية الآخر وبناء هوية الذات على حساب مقومات راسخة بحكم شهادة التاريخ والواقع.

10- الخلط بين المصطلحات وفرض نوع من الترادف بينها مثل الخلط بين مصطلحات (اليهودي، الصهيوني، الإسرائيلي، وحتى العبراني)، وهي حيلة تهدف إلى تأكيد الوحدة اليهودية، وارتباط الصهيونية باليهودية وهذه مغالطة كبيرة.

11- استخدام اسم يشير إلى مسميات مختلفة، واستخدام مصطلحات متعددة لمسمى واحد مثل: "الصهيونية السياسية، الصهيونية الدينية، الصهيونية التصحيحية..."، والحال أنه يمكن الاصطلاح على هذه الاتجاهات باصطلاحين: "الصهيونية التَوطِينية" و"الصهيونية الاستيطانية".

12- استخدام الغرب والصهاينة مصطلحات لها معنى معجمي ظاهر ومعنى حضاري كامن؛ فهي تبدو عادية وتوظيفها بريء، ولا تظهر خطورتها إلا بتعريفها في إطار سياقها التاريخي، ومعجمها الحضاري من قبيل مصطلح "السلام" الذي يبدو واضحا ومحدَّدا من الناحية المعجمية أي السلام المؤسَّس على العدل ولكن في حقيقته الكامنة يعني السلام حسب شروط صهيونية/ أمريكية أو السلام المبني على الحرب.

13- استخدام مصطلحات تُعَبِّر عن مدلولات هي دون الحد الأدنى الصهيوني المُعلَن، ولكنها تشير إليه مثل: تفادي استعمال مصطلح "دولة" في مؤتمرات الصهاينة الأولى كي لا يثيروا غضب العثمانيين وينفِّذوا مخططهم في صمت؛ فاقترح الصهيوني "ماركس نورودو" استخدام مصطلح (هايمشتات"Heimsttate") الذي يوحي بالاستقلال لا الدولة.

14- أيقنة المصطلحات والعبارات؛ فتصبح المصطلحات مسلَّمات ولا مرجعية لها إلا ذاتها ولا تقبل المساءلة أو الدراسة أو المراجعة مثل عبارات: "المفاوضات وجها لوجه"، "أرض بلا شعب لشعب بلا أرض"، مصطلح "عملية السلام".

الملاحظ من هذه الأساليب والحيل البلاغية التي كشف عنها المسيري وجود علاقة بين المصطلح الصهيوني والمصطلح الغربي؛ لذا أكَّد المسيري على وظيفية اليهود والكيان الصهيوني وخدمته للغرب ومواصلته للاستعمار الغربي، وبعد كشفه لهذه الحيل البلاغية التي تنبني عليها المصطلحات الصهيونية وحتى الغربية يُشَدِّد المسيري على ضرورة مراجعة مصطلحات المعجم الغربي والصهيوني؛ فهي مصطلحات مقدرتها التفسيرية ضعيفة ونموذجها الإدراكي اختزالي ناهيك عن تحيُّزاتها الكامنة، و تهدف إلى هزيمتنا وإقناع الرأي العام بحقوقها الزائفة؛ وبالرغم من وجوب تحرُّر الخطاب العربي التحليلي من مصطلحات الآخر، وتجاوز التبعية والتلقي الموضوعي كشكل من أشكال المقاومة إلا أنه يستعمل مصطلحات العدو دون مساءلة، ولذلك نقد المسيري وفكَّك خطاب الذات بالقدر الذي نقد فيه خطاب الآخر، وحمل على عاتقه ضرورة التحرر من مقولات الآخر غربيا كان أو صهيونيا، فإلى أي مدى تمكن خطابه المقاوِم من إنقاذ الخطاب التحليلي العربي للظواهر الغربية والصهيونية من الاستسلام والتبعية؟

2- <u>إعادة تركيب المصطلحات والمفاهيم وتوليد المصطلح المضاد</u>

الملاحظ أننا منذ بداية هذه الورقة البحثية استعملنا عبارة إعادة التركيب جنبا إلى جنب مع التفكيك، وهي استراتيجية مَسيريَة يهدف من خلالها تجاوز التحليل إلى إنتاج خطاب تأسيسي مضاد؛ إذ يقول«أدركت أنني تركت مرحلة التفكيك بصورة تلقائية وانتقلت إلى مرحلة التركيب، وأنني لم أعد أفكِّك وحسب وإنما بدأت أطرح أسئلة وإشكاليات ومصطلحات ونماذج ومقولات تحليلية جديدة كان من شأنها تركيب تصور جديد لتاريخ اليهودية ولأعضاء الجماعات اليهودية»[6]؛ فمشروع المسيري لا يهدف للهدم ولايقف عند حدود كشف المضمرات، بل هو مشروع تفسيري تأسيسي لما يجب أن يكون عليه الخطاب والمصطلح العربي، وليوضِّح مفهومَه عن التفكيك والتفسير يضيف قائلا«ولا شك في أن التفكيك له فائدة، بل هو أمر حتمي وضروري، فهو يكشف المفاهيم الكامنة ويزيل الغشاوات، ولكنه يترك كثيرا من جوانب الظاهرة دون تفسير. فالتفكيك عملية هدم جذرية تطهيرية ولكنه ليس عملية تفسيرية. والتفسير غير التفكيك، فهو عملية إبداعية تركيبية تتطلب نماذج مختلفة والربط بينها والغوص في كل الأبعاد السياسية والاقتصادية والدينية والمعرفية للظاهرة، وإعادة ترتيب الوقائع وتصنيفها في ضوء النماذج الجديدة، واكتشاف حقائق جديدة مهمَّشة ومنحها المركزية التفسيرية التي تستحقها، وتوليد مصطلحات جديدة وإعادة تعريف بعض المصطلحات القائمة»[7]، فأول خطوات المقاومة تبدأ بعملية التفكيك لكشف الأنساق المضمرة والحيل البلاغية والآليات الأسلوبية، ثم الانتقال إلى التفسير حيث قام بالربط بين الظواهر وفَسَّرها وفق نماذج تحليلية صاغها من أجل مساءلة ومراجعة مصطلحات ومفاهيم غربية وصهيونية راسخة حتى كاد الجزم بدقتها واستحالة وجود أي ثغرة فيها، ثم انتقل إلى توليد مصطلحات جديدة مضادة.

إن كان مشروع المسيري يتقاطع مع نقاد الحداثة وما بعد الحداثة والنظرية ما بعد الكولونيالية إلا أنه يتميز بامتلاكه«جهازا مفاهيميا خاصا ونوعيا يبدأ منه ولم ينته عنده، فهو صاحب مفاهيم نظرية كلية جديدة في الخطاب العربي المعاصر من قبيل "العلمانية الشاملة- العلمانية الجزئية- النزعة الربانية والنزعة الجنينية- الحلولية- الكمونية- الواحدية- التحوسل- التحيز المعرفي...إلخ"، وغيرها من المفاهيم التي كانت ولادتها جزءا من جهد نظري خاص ومتميِّز للمسيري؛ وإن التقى في بعض نتائجه مع الآخرين»[8]، وبعد كشفه

للحيل البلاغية والأنساق المضمرة بواسطة التفكيك سنقف عند مختلف الخطوات الإجرائية التي انتهجها المسيري لتحديد سبل التعامل مع مصطلحات الآخر والرد عليها وتوليد الجهاز الاصطلاحي البديل وفق شروط وآليات.

- <u>الخطوات الإجرائية لإعادة تركيب وتوليد المصطلح عند المسيري</u>

الخطاب والمصطلح الصهيوني كما عاينه المسيري «يتسم بعدم التجانس والإبهام والمراوغة نظرا لاستخدامه آليات أسلوبية عديدة... ولكن إذا كان جوهر المراوغة هو فصل الظاهرة عن سياقها التاريخي والمعلومة عن النمط الذي تنتمي إليه والسبب عن النتيجة، فإن فك شفرة أي نص صهيوني تتطلب أن نفعل العكس، فنتجاوز الاعتذاريات والديباجات والأوهام والأكاذيب، ونقرأ ما بين السطور، ونملأ الفراغات، ونحاول التوصُّل للمعنى الحقيقي للمصطلحات والمفاهيم المتحيِّزة الكامنة خلفها، ونحدِّد العلاقة بين الأسماء والمسميات وبين السبب والنتيجة، والظاهرة وسياقها التاريخي، والمعلومة والنمط»[9]، فهي عملية رد ومصادرة للحيل البلاغية والآليات المستعملة في الخطاب الصهيوني فإن عمَّموا فلابد من التخصيص، وإن فصلوا المصطلحات عن سياقها الإيديولولجي والتاريخي والاجتماعي فعلينا أن نثبت تلك العلاقات وهكذا دواليك، وسنقف عند ما اقترحه المسيري من إجراءات مضادة للحيل البلاغية والأساليب المراوغة-آنفة الذكر- إلى أن يصل إلى مرحلة إعادة تعريف المصطلحات وتوليد البديل المتحرِّر من المقولات الامبريالية وتحيُّزات الآخر[10]:

1- قبل الشروع في عملية التفكيك والرد يُشدِّد المسيري على ضرورة استرجاع الذات العربية ثقتها بنفسها ونفض غبار الهزيمة، وهذا يجعلنا لا ننخدع بخطاباتهم ولا نقع في شباك الاستسلام وقبول الهزيمة.

2- الحذر من قبول الصيغ اللفظية الجاهزة والشائعة مثل "عملية السلام"،"الحوار" فلا بُدَّ من التحفظ عليها أو إعادة تعريفها أو رفضها، ومثالنا في ذلك مراجعة المسيري لمصطلح "معاداة السامية"؛ إذ اقترح مصطلح "معاداة اليهود" بديلا له كترجمة لمصطلح "انتي سيميتزم" الإنجليزي؛ لأنّ الجنس السامي لا يتشكَّل من اليهود فقط بل يُشكِّل العرب أغلبيته العظمى ويذهب بعض الباحثين إلى التشكيك في انتماء اليهود إلى هذا الجنس من الأساس، وهذا المصطلح يكشف عن جهل الباحثين الأوروبيين في القرن 19 بالحضارات

الشرقية، وهو مصطلح يضرب بجذوره في العنصرية والمركزية الغربية التي عملت على التمييز بين الحضارات والأعراق وقسمتها إلى جنس آري وآخر سامي[11]، والخطير أن هذا المصطلح يطلق كيفما اتفق كمصطلح تجريمي بدءا من إبادة اليهود وإنكار هذه الإبادة، إلى الوقوف ضد السياسة الاستعمارية الاستيطانية في فلسطين.

3- نموذجه المركب رفض السقوط في الثنائيات المتعارضة الاختزالية التي تقسم الظواهر إلى موجب وسالب ولابُدَّ من وضع مقولات وسطية بين/بين، وإحلال النموذج الاختزالي بنموذج تركيبي «والمقولات الوسطية عادة ما تكون أكثر تركيبا ودلالة من المقولات المتطرفة، كما أن هذه المقولات الوسطية تُعبِّر عن نفسها من خلال مصطلحات جديدة استبعَدها الصهاينة (والمعادون لليهود) تماما، فهم يدورون في إطار ثنائيات صلبة متعارضة ساذجة. وتتضح مقولة الوسط المستبعدة في مجموعة من المصطلحات الجديدة. فبين ثنائية "الرفض اليهودي للصهيونية" و"الإذعان اليهودي لها" يوجد "التملص اليهودي منها"، وبين "العداء لليهود"و"التحيُّز لهم" يوجد "التحامل عليهم" و"عدم الاكتراث بهم"، وبين ثنائية "نجاح التحديث" و"فشله" يوجد تعثر التحديث»[12].

4- لابد من التمييز بين المصطلح والمفهوم الكامن وراءه، أي لابد من اللجوء إلى السياق التاريخي والحضاري للكشف عن المفاهيم الحقيقية.

5- لابد من إدراك البعد الاستيطاني؛ فعلى الباحث استعمال مصطلحات مثل "استعماري"،"استيطاني"،"محتل" حتى لا نتناسى حقيقة هذا الكيان وغرضه.

6- البحث عن نصوص ومصطلحات صهيونية تفضح حقيقة الصهاينة ومخططاتهم وألاعيبهم مثل خطابات ما قبل تأسيس الدولة لـ"شارون" و"جابوتنسكي".

7- الاستشهاد بالواقع الصهيوني وما يقترفه الصهاينة من غزو بشع واستيطان.

8- تحديد اصطلاحية المفردات الصهيونية، فالمصطلحات الواردة في الخطاب الصهيوني تكتسب دلالة مغايرة خاصة عند ورودها في أي نص سياسي عادي؛ فمصطلح الديموقراطية في نص صهيوني تعني ديموقراطية المستوطنين فقط.

9- يجب الابتعاد عن المقولات التحليلية ذات الأصل الإنجيلي والتوراتي.

10- تأكيد البعد التاريخي والنسبي للظواهر اليهودية والصهيونية؛ فلابد من النظر إلى اليهود كجماعات تواجدت في أزمنة وأمكنة تأثرت وتفاعلت معها، وعدم تنميطهم على مر العصور والأمكنة كمجرمين أو عباقرة.

11- عند نقل المصطلح لابُدَّ من التعريف بمرجعية المصطلح كما يستخدمه الآخر وكما تستخدمه الذات.

12- استنطاق النص من خلال تعريف المصطلح بطريقة مركبة أكثر تفسيرية للكشف عن النموذج الكامن والمقولة المضمرة خلف كل الديباجات والحيل البلاغية، ثم يوضع المصطلح في سياقه التاريخي الذي أنكره الخطاب الصهيوني وستتولى الحقائق التاريخية بعد وضعها داخل نمط متكرر كشف مضمرات النص والمسكوت عنه، ويرى المسيري أن بعد قرابة القرن من هذا الاحتلال الاستيطاني أصبح استنطاق النصوص أمرا سهلا لا يحتاج جهدا جبارا إذ أصبحت الأمور واضحة بشكل جلي وأصبح الخطاب الصهيوني يُصَرِّح أكثر مما يُضمِر وذلك بعد ترسيخه لخطاب الهزيمة والاستسلام بيننا.

13- تحديد المستوى التعميمي والتخصيصي للمصطلح؛ مثال ذلك مصطلح "المسألة اليهودية" وهو مصطلح عام وإذا أراد التخصيص استعمل "المسألة اليهودية في شرق أوربا"، وإذا خصَّص أكثر قال"المسألة اليهودية في روسيا".

14- تفتيت المصطلحات الشائعة التي تشير إلى أكثر من ظاهرة مثل "إسرائيل" يجب تفتيته إلى إسرائيل: الدولة الصهيونية، ويسرائيل: العبرانيون بالمعنى الديني، ويسرائيل إفرايم: مملكة يسرائيل العبرانية، كما يجب توضيح الفروق بين مصطلحات متداخلة يتعمد الخطاب الصهيوني مرادفتها لبعضها البعض مثل(عبراني، إسرائيلي، يهودي، صهيوني) وهذا ما أخذه المسيري على عاتقه ويظهر جليا في عنوان موسوعته (موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية) فيتضح بذلك الفرق الموجود بين اليهودية والصهاينة، والكثير من الفروقات بين ما هو صهيوني وما هو يهودي.

15- بعد كل هذه الخطوات الإجرائية المضادَّة لحيل المصطلح الصهيوني وصلنا إلى مرحلة توليد مصطلحات جديدة أكثر تركيبية وتفسيرية ودقة تنبع من نموذج تحليلي مركَّب لا يتبنى المرجعية الغربية أو الصهيونية بل إدراكه عربي، وهذا ما يُمَكِّن من الالتفاف حول وقائع وحقائق وظواهر قام الآخر بتجاهلها بعَدَم تسميتها أو تعريفها، وقد طبق

الفلسطينيون هذا الإجراء حينما سموا المستوطنين الصهاينة بـ"المسكوب" أي "الغرباء القادمون من موسكو" عوض مصطلح "الرواد" المشحون بالمركزية الصهيونية، ويقول المسيري في هذا الصدد«من أهم آليات فك الحصار الصهيوني للمصطلح توليد مصطلحات جديدة، وتوليد المصطلح جهد معرفي ونضالي في ذات الوقت، فمن يسمي الأشياء يمكنه التصدي لها»[13]، ومن المصطلحات التي سكَّها المسيري نذكر(الحوسلة، الصيغة الصهيونية الأساسية الشاملة، الوعود البلفورية، اليهودي الخالص، العربي الغائب، الجماعات اليهودية، الدولة الوظيفية، انتشار اليهود، المسألة الأوروبية، إجماع المستوطنين، الصهيونية الإثنية (العلمانية والدينية)، الهويات اليهودية، تواريخ الجماعات اليهودية، رجل أوروبا النهم...)، من الملاحظ أنَّ بعض المصطلحات سُكَّت على شكل"عبارات"، والأصح في المصطلح أن يكون كلمة للاقتصاد والدقة، ويعود ذلك إلى تركيز المسيري على المفهوم وتوليد صيغة مضادة للمصطلحات الغربية والصهيونية، وإرادته الجادة للخروج من التبعية، ويظل جهدا إنسانيا فرديا من المفترض أن يَستَقطِب عقولا تمضي فيه وتصقله حسب مقتضيات العصر.

16- يشترط المسيري في المصطلح البديل أن يتَّسم بالانفتاح لرصد الأجزاء في علاقتها بالكل ورصد العام والخاص، كما لا بد أن يكون قابلا للتعديل لزيادة مقدرته التفسيرية.

17- الاعتماد على"***المجاز***"كوسيلة تحليلية من خلال تحليل الصور المجازية والاعتماد عليها في الكشف عن النماذج الكامنة؛ فمن خلال المجاز يمكن استنطاق النصوص وكشف مضمراتها، ومثال ذلك مصطلح"صهيونية النفقة"الذي حدَّد المسيري صورته المجازية الكامنة كالتالي«هي صورة اليهودي الذي تطارده طليقته (الدولة الصهيونية)، وتطالبه بالنفقة فيضطر أن يدفع لها بل يجزل لها العطاء حتى تكف عن ملاحقته وفضحه أمام نفسه وأمام الجيران، أي أن المصطلح يجعل العلاقة بين يهود العالم والدولة الصهيونية علاقة برانية تماما»[14]، ولم يقف المسيري عند حدود تحليل الصور المجازية فقط وإنما استعمل المجاز لتوليد مصطلحات جديدة مضادة؛ فمقابل "رجل أوروبا المريض" صاغ مصطلح "رجل أوروبا النهم"، وصاغ أيضا مصطلح "العربي الغائب" تعبيرا عن تغييب وتهميش العربي في الخطاب الصهيوني.

18- ترجمة المصطلح: يركز المسيري على مسألة نقل المصطلحات بطريقة تُمكَّن من التحرر من التبعية والمرجعية الغربية والصهيونية؛ فللعربية مقدرة وإمكانات هائلة إنما العجز يكمن في العقل العربي الموضوعي المتلقي المُنجَر خلف المقولات السهلة والجاهزة، بحسب المسيري عند تفكيك المصطلح الصهيوني لابد من إيراده كما هو، ويترجم ترجمة مباشرة ودقيقة وحرفية من أي لغة كانت للكشف عن وجهة نظر ومرجعية الآخر دون التسليم بها، ويتم التصريح بذلك من خلال استعمال عبارات مثل"حسب الزعم الصهيوني"،"من وجهة النظر الصهيونية"، وبعد تفكيك المصطلح وتِبيان اختزاليته وضعف مقدرته التفسيرية لا بد من توليد مصطلحات ذات مرجعية عربية أكثر تفسيرية وأقل تحيزا، وقد طبق المسيري هذه الآلية الإجرائية على المصطلحات التي نقلها مثل مصطلح "اليهود = Jewry" وسنقف عند كيفية نقله وتحليله واقتراح البديل، يقول المسيري «"اليهود بوصفهم كلا متماسكا" هي ترجمتنا للكلمة الإنجليزية "جوري Jewry"، والتي كانت تستخدم أصلا للإشارة إلى الجيتو أو الشارع أو الحي الذي يسكنه اليهود، وهي تشير إلى اليهود من حيث هم كل متماسك لا من حيث هم جماعات شتى لكل منها انتماؤها العرقي أو الإثني أو الحضاري، وتضم في صفوفها أعضاء يهودا لكل طموحاته وتصوراته الخاصة به. والكلمة تفترض أن هناك علاقة عضوية بين أعضاء الجماعات اليهودية في العالم، وأنهم يخضعون للحركيات التاريخية نفسها التي تَجُب الانتماءات المختلفة والتناقضات الكامنة والظاهرة، وتوجد كلمات مماثلة في اللغات الأوروبية الأخرى مثل جويفري juiverie الفرنسية وجويديتشا Guidecca الإيطالية. ويحبذ الصهاينة استخدام هذا المصطلح لأنه يعبِّر عن رؤيتهم ونموذجهم التفسيري »[15]، ثم اقترح مصطلح "الجماعات اليهودية" بديلا لهذا المصطلح فيضيف قائلا «نرى ضرورة استخدام مصطلح "الجماعات اليهودية" بدلا من مصطلح "اليهود". ونحن نذهب إلى أن العبرانيين(والعبرانيين اليهود)، أي اليهود القدامى، كانوا يشكلون وحدة ثقافية وإثنية تتسم بقدر من التماسك والتجانس والوحدة، ولكن مع انتشار اليهود في أرجاء العالم في مجتمعات مختلفة لكل تقاليدها الحضارية والدينية وتواريخها تفاعل اليهود مع هذه التقاليد والتواريخ، وخضعوا لمؤثراتها شأنهم شأن كل الأقليات والبشر... وقد تحول اليهود نتيجة هذه العملية إلى جماعات مختلفة متفرقة غير متجانسة»[16]، فلترجمة المصطلح لا بد من ترجمة المدلول وعدم الاكتفاء بالنظر في الدوال

لأنها كما سبق وأشرنا إنما هي نتاج لرؤية وسياق الآخر، ومع هذا توجد مصطلحات لا يمكن تطبيق هذا المنطق عليها كالاختصارات على سبيل المثال(الهستدروت-ويزو)، وبعض الاصطلاحات الأعجمية التي شاعت مثل"الكيبوتس" و"المشناه" و"الجيتو"، ومع ذلك لا بد من الالتزام بقواعد اللغة العربية كاستبعاد صيغ الجمع العبرية "الكيبوتسيم"، ونقول بدلا من ذلك"الكيبوتسات"، كما لا تخضع أسماء الأعلام لهذا الإجراء.

19- عند ترجمة المصطلحات أو توليد أخرى جديدة لا بد من تفعيل المعجم العربي؛ فعلى الباحث أن يستعمل كلمات عربية ويُفَعِّل إمكانيات اللُّغة العربية بقواعدها ومعجمها؛ فقد لاحظ المسيري أن الخطاب التحليلي العربي لا يطبق قواعد اللغة العربية وعبقريتها في ترجمة المصطلح العبري بل يتعامل معه«وكأنه "قدس الأقداس" الذي يجب ألا يطأه إلا كبير الكهنة وحده أو كأنه "الشيم هامفوراش" الذي ينطق به "كوهين جادول" مرة واحدة كل عام. وبقاء المصطلح على شكله العبري يجعلنا مستوعبين نفسيا وفي حالة انهزام كامل أمامه»[17]، ناهيك عما يشكله هذا من خطورة على اللغة العربية وتهميش لمعجمها قبل كل شيء، وقد حدث أن وجد المسيري صعوبة في توليد مصطلحات تقابل مصطلحات أجنبية؛ فعمل بالتعريب مثل مصطلح Ethenic الذي عرَّبه بإثني.

20- **"التعريف من خلال الحقل الدلالي"**: من أشكال المقاومة أيضا إعادة تعريف المصطلحات القائمة الراسخة من خلال آلية تعريف اصطلح عليها المسيري **"التعريف من خلال الحقل الدلالي"**، وهي طريقة طوَّرها لتعريف المصطلحات؛ إذ يتم عرض التعريفات المتاحة ثم استخراج النموذج الكامن أي الرقعة المشتركة بينها ثم يُجَرَّد النموذج ليصبح هو التعريف الجديد، وهو خروج من دراسة التعريفات المعجمية إلى الظواهر الاجتماعية والتاريخية المساهمة في تشكل المصطلح وتحديد المفهوم بمعنى ربط النموذج بالواقع؛ إذ يرفض المسيري التعاريف ذات المقدرة التفسيرية الضعيفة، والتي تختزل الظاهرة وتهمش بعض جوانبها، وأعاد تعريف عشرات المصطلحات الغربية والصهيونية والعلمية بواسطة هذه الآلية منها (الصهيونية، العلمانية، الحلولية الكمونية، التقدم، الحداثة...)

- **<u>إعادة تعريف الصهيونية وصياغة المصطلح البديل نموذجا</u>**

تمكَّن المسيري من خلال هذه الطريقة من عرض الدلالات المختلفة والمختلطة والمتناقضة والمتراكمة للصهيونية؛ فعرض الصهيونية في معناها الديني و الغربي وعند

المفكرين والفلاسفة والسياسيين، ثم وضع هذا المفهوم في سياق التاريخ الفكري والسياسي والعسكري الغربي إلى أن تبلور المفهوم الغربي للصهيونية بشكل جيد في"وعد بلفور"، ورغم أنه يحلِّل هذا المفهوم جينالوجيا إلا أنه لا يعود إلى نصوص العهد القديم لأن الصهيونية إنتاج غربي لا علاقة له بالتاريخ الديني اليهودي، يقول«الصهيونية في تصورنا ليست ظاهرة يهودية وإنما هي ظاهرة غربية وُلدت من رحم الفكر الغربي الامبريالي. فحتى العقود الأخيرة من القرن التاسع عشر لم يكن يربط اليهود أو اليهودية علاقة كبيرة بالصهيونية كفكرة أو مفهوم أو مشروع سياسي واقتصادي عسكري، وقد كان هذا هو الرأي السائد في الأوساط الصهيونية حتى عهد قريب، فأول تاريخ رسمي للصهيونية كُتِب بتكليف من المنظمة الصهيونية وكتبه ناحوم سوكولوف... مكوَّن من جزأين، كرس الأكبر منهما لتاريخ الصهيونية بين غير اليهود»[18]، ويواصل في عرض المفاهيم وتفكيكها ليثبت ضعف مقدرتها التفسيرية، ويكشف عن تحيُّز المفاهيم الغربية لهذه الحركة وتعرِّفها بأنها حركة لإعادة اليهود إلى أرض الأجداد، كما نقد تلقي الخطاب التحليلي العربي لهذا المصطلح بتحيزاته؛ فوقع في فخ ترجمة المصطلح "زايونيزم zionism" دون توضيح المفهوم الكامن وراءه فتُرجِم إلى"صهيونية"مع أنه كان من المفروض-بحسبه- أن يترجم إلى "الحركة الصهيونية الاستيطانية الإحلالية"[19]، وذلك بعد تجريد نموذجه الكامن المتمثل في اعتبار الصهيونية حركة استيطانية استعمارية موالية للغرب لا علاقة لها بالدين اليهودي، واقترح بدل مصطلح الصهيونية "الصيغة الصهيونية الأساسية الشاملة"، وبحسب المسيري لا يمكن أن يوصف أي اتجاه أو قول بأنه صهيوني إلا بتوفره على مسلمات تشكل البنية العامة الكامنة لأي توجه صهيوني؛ وتتمثل في اعتبار اليهود شعب عضوي متماسك يدين بالولاء لنفسه، لا ينتمي للحضارة الغربية فهو منبوذ، وكذا اعتبار اليهود جماعة وظيفية فَقَدَت وظيفتها داخل أوروبا فتم تحويلها خارجها لتصبح نافعة ويدعمها الغرب لضمان خدماتها في فلسطين والشرق[20].

في ختام هذه الخطوات تجدر الإشارة إلى أن نهج المسيري المقاوم لا يعني أنه تحرر كلية من مرجعيته الغربية وهو قد عاش عقودا في أمريكا، وتشرب المنظومة المعرفية الغربية وشكل الغرب بماركسيه وسوسيولوجييه ورومانسييه أصوله المعرفية دون أن يتنكر لخلفيته العربية الإسلامية، و هو مفكر أنصف العلماء والمفكرين الغربيين واليهود الذين

يحتكمون إلى نموذج إنساني وأصدروا خطابات عادلة تجاوزت تحيُّزات الغرب والصهاينة، مثل رايموند رايلي، زيجمونت باومن، ناعوم تشومسكي، مدرسة فرانكفورت...، ضف إلى ذلك أن المسيري لا يتنكر لذلك ولا يجزم بصياغة نماذج تحليلية ومصطلحات ذات مقدرة تفسيرية نهائية غير قابل للتعديل، كما أنه لم يستطع تفسير كل المصطلحات وتوليد المصطلحات المضادة لها؛ إذ يقول«كل هذا لا يعني بطبيعة الحال أننا رفضنا كل الاصطلاحات والتعريفات القائمة، فقد أخذنا بكثير منها ولكن بعد أن وضحنا بعدها المعرفي والنهائي»[21]، لأنَّ مشروعه الفكري -سواء في نقده للمنظومة التحديثية الغربية أو في تفكيكه للسرديات الكولونيالية والرد عليها عبر دراساته العلمية وجهازه الاصطلاحي وقصص الأطفال المناهضة للنماذج الغربية المادية الاختزالية- هدفه الكشف عن النموذج المعرفي الكامن، وتبيان تحيزات الخطابات والمصطلحات وما تضمره من أنساق، وتحرير العقل العربي من التبعية وقيود الانبهار.

2- **<u>أهمية استرتيجية عبد الوهاب المسيري المقاوِمة في ظل الصراعات الراهنة</u>**

تحت عنوان"فك الاحتكار الصهيوني للمصطلح" في كتابه "في الخطاب والمصطلح الصهيوني" يقول المسيري«من الضروري ألا ندع الصهاينة يحتكرون لأنفسهم توليد المصطلحات وتسمية الأشياء، ومن ثم التحكم في المقولات الكامنة وراء الخطاب التحليلي. ولذا علينا أن نكشف هذا الاحتكار الصهيوني للمصطلح من خلال عملية تفكيك وإعادة تركيب ومن خلال توليد مصطلحات جديدة، حتى يمكن أن نسمي الأشياء بأسمائها، وأن نُعَرِّف تلك الجوانب في الظاهرة الصهيونية التي يحرص الصهاينة على إخفائها»[22]؛ وعليه فنحن بحاجة إلى هذه الاستراتيجية والتعامل بحذر مع المصطلحات-حتى العلمية التي تبدو محايدة- لأن الآخر يُسَخِّر كل ما ينتجه-حتى الكلمة- لكي ينتصر ويهزمنا، فلا يمكن بأي حال من الأحوال أن نستعمل مصطلحات العدو في خطابنا المقاوِم، يتساءل المسيري قائلا«إذا كان المصطلح أو الاصطلاح تصالحا، فما العمل إن كان من يسك المصطلح لم يتصالح معنا؟ أو كان يسك المصطلح لتغييبنا نتيجة لخصومته معنا ولأن وجودنا يعني غيابه؟ أو يسك مصطلحا يخبئ مفاهيم وقيما تتنافى مع مفاهيمنا وقيمنا، ويتبنى نموذجا تحليليا معرفيا متحيزا ضدنا؟»[23] ولقد أجاب بالعمل والمقاومة الفعلية عبر هذه الاستراتيجية فوقف بالمرصاد لحيل الغرب والصهاينة.

تمكن المسيري من الكشف عن النماذج الكامنة للمصطلحات الصهيونية وبعدها الاستعماري الاستيطاني المرتبط برؤية الغرب ومركزيته، فبواسطة هذا التحليل اكتشفنا أن الاستعمار الغربي ما زال متواصلا بوسائل جديدة وخلف دولة وظيفية- الكيان الصهيوني- تخدم مصالحه، فمقاومة الصهاينة إنما هي مقاومة للكولونيالية الغربية، لتكون بذلك القرينة الاصطلاحية من أهم القرائن الدالة على ارتباط الصهيونية بالاستعمار الغربي، فكيف لنا أن نتجاوز مراجعة المصطلح في تفكيكنا للسرديات الكولونيالية؟ ومن الأمثلة الدالة على خطورة الشعارات والمصطلحات التي يصوغها الصهاينة والتي تكشف ارتباطها بالاستعمار الغربي الاستيطاني شعار "أرض بلا شعب لشعب بلا أرض" فـ«هذا الشعار السوقي الساذج ينتمي إلى نمط متكرر في الخطاب الحضاري الغربي الحديث الذي أفرز الرؤية المعرفية العلمانية الامبريالية، التي قامت بعلمنة الرؤى الإنجيلية وحولتها من صياغات مجازية تتحقق في آخر الأيام بمشيئة الإله إلى شعارات استيطانية حرفية تتحقق الآن وهنا وبقوة السلاح. وهذه الرؤية للكون (الطبيعة والبشر) باعتباره مادة استعمالية تضع الإنسان الغربي في المركز، ومن ثم يصبح العالم كله فراغا بلا تاريخ وبلا بشر، وإن وُجِد بشر فهم مادة استعمالية عرضية لا قيمة لها»[24]، وعليه نظر الصهاينة إلى فلسطين على أنها أرض غير مأهولة من حقهم توظيف ما وجدوا فيها من مواد استعمالية، وقد عمل الصهاينة على تحقيق وتجسيد سردياتهم لاسيما الأسطورة المتعلقة بكون فلسطين أرض بلا شعب بواسطة الشعارات والمصطلحات حتى يصلوا إلى هدفهم المتمثل في طرد السكان الأصليين وإقامة دولة يهودية خالصة لذلك يسعون لإفراغها من سكانها الأصليين، والكشف عن علاقة الاحتلال الصهيوني بالكولونيالية الغربية يُمَكِّن من التنبؤ بممارسات العدو المستقبلية، وبالتالي إمكانية التصدي لمخططاته، ومصطلحاته وخطاباته المراوغة.

لا يكف الغرب عن تأييد دولته الوظيفية من خلال ترويج سردياتها ومصطلحاتها عبر الإعلام ومختلف أشكال الخطاب، كما قد أنتجت الصهيونية خطاباتها ومصطلحاتها في كنف الغرب ووفق مرجعياته،«فقد تم سَكُّها في العالم الغربي بعناية بالغة وهي مصطلحات تنبع من تجارب تاريخية ونماذج تحليلية ورؤى معرفية ووجهات نظر غربية وصهيونية، متمركزة حول الذات الغربية واليهودية»[25]، كما يقوم الغرب نفسه بإنتاج المصطلح

والخطاب الذي يخدم أهدافه؛ كصياغته لمصطلح"الإرهاب" الذي فكَّكه المسيري وما يتفرع عنه من مصطلحات -الحكم الذاتي، أعمال الشغب وأعمال العنف، وقف العنف، ضبط النفس، غرس الكره...إلخ- فهذا المصطلح يقع في قلب الصراعات الراهنة؛ إذ أُطلق من قبل الصهاينة والموالين لهم في الولايات المتحدة الأمريكية لتوصيف عمليات المقاومة الفلسطينية وأشاعه الغرب ووسع حقله الدلالي.

يقول المسيري «يدرك الصهاينة تماما أهمية مصطلحاتهم وتسمياتهم من خلال الإعلام الغربي الذي يساند المشروع الصهيوني ويشاركه تحيزاته. ولذا نجد أن آلة المصطلحات الصهيونية لا تكف عن الدوران وعن إنتاج عدد كبير من المصطلحات، لتغطية كل ما يستجد من متغيرات ومواقف. كما أن أزمة الأيديولوجية الصهيونية واحتدام أزمة التجمع الصهيوني أدت إلى تصعيد عملية توليد المصطلحات ولذا لا بد من أن نخضع مثل هذه المصطلحات لعملية تفكيك وإعادة تركيب حتى نعري المفاهيم الكامنة»[26]؛ فمادامت الآلة الغربية/ الصهيونية لا تنضب مصطلحاتها المُتَحيّزة فعلى المقاومة أيضا ألا تتوقف وأن تُحَيّن استرتيجياتها حسب تغيُّر أشكال الهيمنة والاستغلال التي يمارسها الغرب.

خـتـام الـقـول

قام المسيري بتفكيك المنظومة الاصطلاحية الغربية والصهيونية وحتى المعادية للصهيونية ومارس النقد الذاتي على الخطاب التحليلي العربي ولفت الانتباه لخطورة استخدام مصطلحات الآخر دون الكشف عن تحيُّزاتها وأنساقها، داعيا إلى تجاوز العقل المتلقي الموضوعي واستعمال العقل الاجتهادي التوليدي الذي بإمكانه سَكّ مصطلحات أكثر تفسيرية ودقة وينطلق من تجربته الحضارية والتاريخية، فأسس بذلك لاستراتيجية مقاوِمة للسرديات الكولونيالية عبر تفكيك المصطلح وصياغة الجهاز الاصطلاحي المضاد.

جهد عبد الوهاب المسيري لم يكن مجرد دعاوى ودراسات نظرية، ونحيب على أنقاض الهزيمة، بل قام بتفكيك مصطلحات وعبارات وشعارات وديباجات ودعايات صهيونية للكشف عن تحيزاتها ونماذجها الكامنة وألاعيبها وحيلها البلاغية مثل (أرض بلا شعب لشعب بلا أرض، هياكل اليهود، هدم الهيكل إعادة بناء الهيكل، الصهيونية الاشتراكية، الجوهر اليهودي، الاستقلال اليهودي، الأخلاقيات اليهودية، العرق اليهودي، نقاء اليهود عرقيا، نقاء اليهود حضاريا، الخصوصية اليهودية، الانعزالية اليهودية، الاندماج، الولاء

اليهودي المزدوج، الشخصية اليهودية، الهوية اليهودية، الوحدة اليهودية) ثم أعاد تركيبها وتفسيرها وردَّ عليها من خلال صياغة مصطلحات مضادة أكثر تفسيرية تنبع من مرجعية عربية إسلامية -ولا تنحصر فيها فقط بحكم أصوله المعرفية الغربية- وطوَّر لأجل ذلك النماذج التحليلية والفكرية الغربية-التي تَمكَّن من احتوائها وتجاوزها- ليولِّد خطابه ومصطلحه الخاص.

قام المسيري بتفعيل المعجم العربي في ترجمته للمصطلحات وسك مصطلحات أخرى جديدة وأخضعها إلى الميزان الصرفي وآليات وضع المصطلح من نحت ومجاز وتعريب، ومن هذه المصطلحات المضادة والجديدة(الحوسلة، المتتالية التحديثية، العلمانية الجزئية، العلمانية الشاملة، اليهودي الخالص، الجماعات اليهودية، العربي الغائب، معاداة اليهود، رجل أوروبا النهم...)، كما قام بإعادة تعريف راسخة وقائمة من خلال آلية"التعريف من خلال الحقل الدلالي"مثل(العلمانية، الصهيونية، علم اجتماع المعرفة)، لكنَّه يبقى جهدا فرديا وجب على المناهج الجامعية أن تعرِّف به وعلى الباحثين أن يواصلوا تطبيقه وتطويره؛ فنحن اليوم في أمس الحاجة إلى هذه الاستراتيجية أمام تحديات العولمة وتكنولوجيا المعلومات والاتصال التي تُمطرنا بوابل من المصطلحات المُتَحيِّزة لرؤية أصحابها وسياقها الإيديولوجي والثقافي والحضاري.

الهوامش:

***- عبد الوهاب المسيري: مفكر مصري متخصص في دراسة الصهيونية والحضارة الغربية، ولد في 8أكتوبر 1938 في دمنهور بمصر تلقى تعليمه الإبتدائي إلى غاية الثانوي في دمنهور، تخرج في قسم اللغة الإنجليزية بجامعة الإسكندرية سنة1959، تحصل على ماجيستير سنة 1964 من جامعة كولومبيا كما نال درجة الدكتوراه من جامعة رتجرز الأمريكية سنة 1969، تخصص في الأدب المقارن ودراسة الرومانسية ثم توجه إلى دراسة تاريخ الأفكار، درّس في أقسام الأدب في جامعات عربية(مصر، السعودية، الكويت)، خلَّف موسوعة ضخمة حول القضايا اليهودية والصهيونية "موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية" ومن مؤلفاته أيضا:(اللغة والمجاز، دفاع عن الإنسان، فقه التحيز، موسوعة العلمانية الشاملة والعلمانية الجزئية في جزأين، والعديد من الأشعار وقصص الأطفال)، *يُنظَر عبد الوهاب المسيري، رحلتي الفكرية في البذور والجذور والثمر؛ سيرة غير ذاتية غير موضوعية، الهيئة العامة لقصور الثقافة، الطبعة الأولى، القاهرة، 2000، ص10*، تُوُفي المسيري سنة 2008.**

1- عبد الوهاب المسيري، في الخطاب والمصطلح الصهيوني، دار الشروق، الطبعة الثانية، القاهرة، 2003، ص21.

*- تحتلُّ"إشكالية التحيُّز"مكانة رئيسة عند المسيري، قام من خلالها بتفكيك المفاهيم الغربية ونقد تبعية العرب والمسلمين للغرب وانخداعهم بمفهوم الحداثة والتقدم، ترسَّخت هذه الإشكالية من خلال المناقشات التي دارت في إطارلجنة التعميرالحضاري في مؤسسة الأهرام والتي شكلها الأستاذ هيكل وكانت تضم (محمود فوزي، زكي نجيب محمود، حسين فوزي، لويس عوض، توفيق الحكيم، أحمد بهاء الدين، جميل مطر) ودار النقاش فيها حول المشروع الحضاري العربي ومستقبله عقب انتصارالأمة العربية في حرب أكتوبر، ومن خلال هذه المناقشات تساءل المسيري حول طبيعة المشروع الحضاري العربي وفكك مفهوم التقدم الغربي والتحيزات الكامنة فيه وعلاقته بمسألة القيمة. *(يُنظَر عبد الوهاب المسيري، رحلتي الفكرية في البذوروالجذوروالثمر؛ سيرة غيرذاتية غيرموضوعية، ص342،341)*واستمرالمسيري في نقاشاته حول هذه القضية مع مثقفين ومفكرين وباحثين عرب، وكانت النتيجة انعقاد مؤتمرالتحيزفي فيفري 1992 بالقاهرة وقد اجتمع فيه باحثون من مختلف التخصصات (الفلسفة، النقد، الاقتصاد، الأدب، الفقه، اللسانيات...) وصدرت مداخلاته في كتاب موسوم"إشكالية التحيز: رؤية معرفية ودعوة للاجتهاد".

2- عبد الوهاب المسيري، رحلتي الفكرية في البذوروالجذوروالثمر؛ سيرة غيرذاتية غيرموضوعية، ص348.

*- ينقسم النموذج إلى قسمين: نموذج إدراكي، ونموذج تحليلي وهومصطلح استقاه من علم الاجتماع وتحديدا من عند "ماكس فيبر" (هوبنية تصورية يجردها عقل الإنسان من كم هائل من العلاقات والتفاصيل والحقائق والوقائع، فهويستبعد بعضها باعتبارها غيردالة(من وجهة نظره) ويستبقي البعض الآخر، ثم يربط بينها وينسقها تنسيقا خاصا بحيث تصبح (حسب تصوره) مماثلة في تناسقها وترابطها للعلاقات الموجودة بين عناصرالواقع. كل هذا يعني أن عقل الإنسان ليس خاملا يتلقى الواقع بشكل سلبي ويسجله بشكل مباشر، وإنما هومبدع وخلاق يعيد صياغة الواقع من خلال النماذج المعرفية والإدراكية أثناء أبسط عمليات الإدراك، أي أن استخدام النماذج مسألة حتمية تدخل في صميم عملية الإدراك، ومن ثم فعملية الإدراك هي ذاتها عملية تفسير. ورغم أن النموذج بنية تصورية، فإن من الممكن اختباره لاكتشاف مقدرته التفسيرية والتصنيفية)، *عبد الوهاب المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، المجلد الثامن، دارالشروق، الطبعة الأولى، مصر، 1999، ص19*. وبناء على ذلك اشتغل المسيري على الكشف عن النماذج الإدراكية الكامنة في السرديات الغربية والصهيونية، كما صاغ نماذجها الثلاث التحليلية من أجل تفسيرها أيضا وهي، نموذج الجماعات الوظيفية، نموذج العلمانية الشاملة، نموذج الحلولية الكمونية، وهي نماذج قابلة للتعديل كلما ضعفت مقدرتها التفسيرية.

*- تكشف تحليلات المسيري وندواته وكتبه المتخصصة في دراسة المصطلح وملاحق كتبه عن اهتمامه الواسع بالمصطلح تفكيكا وصياغة، نذكرمنها(موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية بمجلداتها الثمانية، اللغة والمجاز، في الخطاب والمصطلح الصهيوني، فقه التحيُّز...إلخ)

3- يُنظَرعبد الوهاب المسيري، في الخطاب والمصطلح الصهيوني، ص26-31.

4- المرجع نفسه، ص41.

5- المرجع نفسه، ص45.

6- المرجع نفسه، ص35.

7- المرجع نفسه، ص34.

8- هاني نسيرة، إشكالية الكلي والنسبي إدارة المعرفة وإرادتها "قراءة في المنهج عند عبد الوهاب المسيري"، في مجموعة باحثين، المسيري في عيون أصدقائه ونقاده، دار الفكر، الطبعة الأولى، دمشق، 2007، ص218.

9- عبد الوهاب المسيري، في الخطاب والمصطلح الصهيوني، ص59.

10- يُنظَر عبد الوهاب المسيري، في الخطاب والمصطلح الصهيوني، ص59- ،68 ويُنظَر موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية؛ نموذج تفسيري جديد، المجلد الأول، دار الشروق، الطبعة الأولى، القاهرة، 1999، ص45-49.

11- يُنظَر عبد الوهاب المسيري، في الخطاب والمصطلح الصهيوني، ص191، 192.

12- المرجع نفسه، ص61.

13- المرجع نفسه، ص223.

14- المرجع نفسه، ص269.

15- المرجع نفسه، ص154.

16- المرجع نفسه، ص155،154.

17- المرجع نفسه، ص29.

18- المرجع نفسه، ص90.

19- يُنظَر المرجع نفسه، ص94.

20- يُنظَر المرجع نفسه، ص95.

21- عبد الوهاب المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، المجلد الأول، ص49.

22- عبد الوهاب المسيري، في الخطاب والمصطلح الصهيوني، ص211.

23- عبد الوهاب المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، المجلد الأول، ص41.

24- عبد الوهاب المسيري، في الخطاب والمصطلح الصهيوني، ص68.

25- المرجع نفسه، ص42.

26- المرجع نفسه، ص243.

*** *** ***